obeikandl.com

(23 أكتوبر حتى 4 نوفمبر 1942)

تفوُّق بريطاني ساحق قبل المعركة

الفصل الثالث عشر

obeikandl.com

أولاً: قوات المحور:

1. الموقف العام:

واجهت روميل مشكلة أساسية قبل معركة العلمين، هي مشكلة تعزيز قواته؛ إذ كان الأمر يتطلب الإمداد بأسلحة ومعدات ومواد إعاشة بكميات كبيرة عبر البحر المتوسط حتى موانئ شمال أفريقيا (طرابلس، بني غازي، طبرق)، ثم نقل هذه الإمدادات إلى المنطقة الأمامية لقواته في العلمين للاحتفاظ بخط مواصلات بحري وبري على درجة عالية من الكفاءة، لكنه فشل في تحقيق هذين المطلبين لتعرُّض قوافله البحرية لهجمات جوية وبحرية حتى بلغ مجموع خسائر المحور في السفن خلال شهري أغسطس وسبتمبر والنصف الأول من أكتوبر 1942 قرابة 20 سفينة محمَّلة بالأسلحة والمعدات والمؤن للجيش الأول بانزر الألماني في شمال أفريقيا[1].

بناءً على ذلك طلب روميل من القيادة العليا الإيطالية تخصيص عدد أكبر من السفن حتى يضمن وصول الاحتياجات اللازمة لقواته، كما طلب من القيادة الألمانية المسئولة عن حوض البحر المتوسط ـ وهي قيادة القطاع الجنوبي التي يرأسها الفيلد مارشال كيسلرنج ـ إمداده ببعض القوات الإضافية التي قدَّرها بفرقة مشاة ألمانية على الأقل، وعدد من المدافع المضادة للدبابات وبعض العربات، إلا أن تطوُّر المعارك لمصلحة الروس في الميدان الروسي جعل من المتعذَّر تحقيق هذه المطالب، ومع ذلك أرسلت القيادة العليا الإيطالية إلى منطقة طرابلس بعض الإمدادات من القوات الإيطالية غير

(1) اتضح فيما بعد أن الأميرال البحري الإيطالي "موجيري" الذي كان رئيسًا لقسم مراقبة السواحل الإيطالية في ذلك الوقت كان يخطر الحلفاء بأنباء تحرُّكات السفن البحرية لقوات المحور التي تنقل الإمدادات إلى شمال أفريقيا على الرغم من إبحارها ليلاً، ورغم التكتم الشديد في مواعيد تحركاتها.

مستكمَلة التسليح أو التدريب، وكان من المتعذَّر الاستفادة منها في القتال؛ نظراً لضعفها.

ونظراً لأن الإمدادات كانت تنهال في ذلك الوقت على الجانب البريطاني بشكل لم يُسبق له مثيل فقد شعر روميل بأنه على وشك التعرُّض لكارثة كبرى ما لم تُتَّخَذ إجراءات عاجلة لتعزيز قواته، وإمدادها بالاحتياجات الضروري، وقد انتهز فرصة سفره إلى ألمانيا يوم 19 سبتمبر 1942 للعلاج من حالة المرض التي كان يشكو منها لعرض موقفه على هتلر شخصيًّا، وأوضح له أن أقل ما يلزم من الاحتياجات لمواجهة أي هجوم يقوم به البريطانيون في منطقة العلمين هو: (احتياجات ثمانية أيام من الذخيرة، ووقود يكفي لمسافة 2000كم لكل عربة، وتعيينات تكفي لمدة 30 يومًا)، وكان مجموع حمولة هذه الاحتياجات حوالي 75 ألف طن، كما أبرز أهمية إمداده بالطلبات التي طلبها من قبل (فرقة مشاة وبعض الأسلحة والعربات)، وتعزيز قواته الجوية حتى يتمكَّن من استعادة التفوُّق الجوي من البريطانيين؛ إذ إن بقاء هذا التفوق لدى الجانب الآخر سيؤدي إلى استمرارهم في إنزال الخسائر الفادحة بخطوط مواصلاته وقواعده الإدارية، وقد وعده هتلر بإمداده بكل ما يلزمه مضافًا إليه لواء صواريخ (حوالي 500 قاذف صاروخي)، و40 مدفع ثقيل مضاد للدبابات ذاتي الحركة، وعدد مناسب من الدبابات من نوع "النمر" الثقيلة التي ابتكرها الألمان في ذلك الوقت.

أما فيما يتعلق بتحسين خط المواصلات البري وتأمينه فقد طلب اتخاذ بعض التدابير، وأهمها ما يلي:

أ- تعزيز خطوط السكك الحديدية خلف جبهة القتال؛ إذ لم يكن هناك سوى وصلتين قصيرتين لهذا الخط على خط مواصلاته؛ إحداهما قرب بني غازي، والأخرى قرب طرابلس، وكان من الضروري مدّ السكك الحديدية بحيث تصل ما بين هذين الميناءين والحدود المصرية.

ب- تحسين الطرق البرية.

ج- تأمين خط المواصلات ما بين بني غازي ومنطقة العلمين من الغارات العنيفة التي كانت تشنَّها مجموعة الصحراء بعيدة المدى التي اتخذت من واحة الكفرة الواقعة عند الركن الجنوبي الغربي من حدود مصر قاعدة لعملياتها.

هذه هي المطالب التي طلبها روميل من القيادتين الألمانية والإيطالية، ووعدته القيادتان بتنفيذها في أسرع وقت، ولكن هذه الوعود لم تُنَفَّذ على الإطلاق، بينما كان يتوقف على تنفيذها تقرير نتيجة قتاله في العلمين، ولذلك ازدادت مشاكل روميل، وتضاعف التفوق البريطاني.

ونتيجة للزيادة المضطَّردة في خسائر سفن المحور التي كانت تزداد يومًا بعد يوم اضطَّرت قيادة قوات المحور في نهاية الأمر لاستخدام الطائرات لنقل الوقود إلى شمال أفريقيا، ولم يكن في مقدرتها نقل أكثر من 40 إلى 80 طنًا في اليوم مع تعذُّر النقل تمامًا في الأيام العاصفة، وقد عمد المحور إلى استبدال السفن الكبيرة بأخرى صغيرة حتى تقل الخسائر الناجمة عن فقد أي منها، واستخدم بدءاً من خريف عام 1942 نوعًا أطلق عليه "حاملات الحرب" لا تزيد حمولة السفينة عن 450 طنًا، ورغم كل هذا فقد استمرت نسبة الخسائر كما هي، ولم يتمكَّن سوى عدد محدود من تلك السفن من دخول موانئ شمال أفريقيا.

وترتب على هذا في نهاية الأمر كسب البريطانيين لسباق التموين بالقوات والأسلحة والمعدات ومواد الإعاشة، وبالتالي تقرَّر مصير معركة العلمين قبل بدئها؛ بسبب فشل القيادتين الألمانية والإيطالية في إمداد قواتهما في شمال أفريقيا باحتياجاتهما الضرورية.

2. **تكوين قوات المحور**:

كانت قوات المحور مكونة من الجيش الأول البانزر (الألماني ـ الإيطالي) الذي يضم أربعة فيالق كالآتي:

أـ **فيلق أفريقيا الألماني**، **ويتكون من**: الفرقة 15 البانزر، والفرقة 21 البانزر، والفرقة 90 المشاة الخفيفة الراكبة، والفرقة 164 المشاة.

ب ـ **الفيلق** 10 **الإيطالي**، **ويتكون من**: الفرقة 27 المشاة (بريسيكا)، والفرقة 7 المشاة (بافيا)، وفرقة فولجوري من جنود المظلات.

ج ـ **الفيلق** 20 **الإيطالي**، **ويتكون من**: الفرقة 132 المدرعة (آريتي)، وفرقة ليتوريو المدرعة، والفرقة 101 المشاة الراكبة (تريستي)، وقد تمَّ تشكيل هذا الفيلق على غرار فيلق أفريقيا الألماني.

دـ **الفيلق** 21 **الإيطالي**، **ويتكون من**: الفرقة 102 المشاة (ترينتو)، والفرقة 25 المشاة (بولونا).

وبذلك يكون مجموع قوات المحور خمس فرق مشاة (أربع إيطالية، وواحدة ألمانية) وفرقتين مشاة راكبة (واحدة ألمانية، وواحدة إيطالية)، وفرق إيطالية من جنود المظلات، وأربع فرق مدرعة (منها فرقتان إيطاليتان، وفرقتين ألمانيتين)، ويلاحظ هنا أنه على الرغم من كثرة عدد فرق المحور، إلا إنها كانت أقل عدداً في الأفراد والمعدات من فرق الحلفاء؛ نظراً لاختلاف التنظيم عند كلا الطرفين، وكان مجموع قوات المحور بصفة عامة عند بدء معركة العلمين حوالي 90 ألف جندي، و560 دبابة، و400 مدفع ميدان، و900 مدفع مضاد للدبابات، و600 طائرة.

ولعل أبرز أوجه المقارنة بين قوات الطرفين هو ذلك الفارق الشاسع في القوة المدرَّعة لدى كليهما، فقد كان لدى البريطانيين حوالي 400 دبابة من حوالي 1000 دبابة مسلَّحة بمدافع عيار 75مم من نوعي "شيرمان" و"جرانت"، بينما لم يكن لدى المحور سوى 38 دبابة ألمانية من نوع "مارك ـ 4" المسلَّحة بهذا المدفع، وكان باقي دباباته عبارة عن 170 دبابة ألمانية من نوع "مارك ـ 3" المسلَّحة بمدافع عيار 50مم، وعدد 300 دبابة إيطالية أضعف منها في التسليح، وحوالي 50 دبابة خفيفة، وعلى الرغم من ذلك كانت نسبة التفوُّق الكيفي الحقيقي لصالح المدرعات البريطانية بنسبة 5.5:1.

3. **خطة المعركة الدفاعية**:

أ. تقدير موقف روميل للدفاع عن منطقة العلمين: اتخذ روميل قرار الدفاع في معركة العلمين نتيجة تقديره للموقف كأي قائد مقبل على معركة، فعلى الرغم من تفوق القوات الألمانية في القيادة وفي التدريب على القوات البريطانية، إلا أن هناك بعض الاعتبارات المهمة التي أخذها روميل في الحسبان قبيل معركة العلمين، وهي:

1. التفوُّق الساحق الكمي والكيفي الذي لدى البريطانيين، وخاصة في المدرعات.
2. تفوُّق الدبابات البريطانية على دباباته من حيث قوة التدريب على الرغم من تساويهما في خفة الحركة والقدرة على المناورة، كما أن دروع دباباته لا يمكنها مواجهة الخطر الجديد الناشئ من استخدام البريطانيين للطائرات المقاتلة المسلحة بمدافع عيار 40مم المضادة للدروع.
3. أغلب قوات المشاة الإيطالية التي لديه لا توجد لديها حملات آلية.
4. موقفة الإداري الصعب، وخاصة الإمداد بالوقود لا يسمح له بخوض أية معركة متحرِّكة كبرى بالدبابات.

لهذه الأسباب وجد روميل أنه لا بد من قبول معركة دفاعية ثابتة في منطقة العلمين بدلاً من العمليات المتحرِّكة التي تعتمد أساسًا على المناورة وخفة الحركة التي اعتاد أن يَّتبعها بنجاح ضد البريطانيين.

وقد قدّر روميل أن البريطانيين سيضطرون إلى اتباع خطة خاصة في هجومهم المقبل؛ نظراً لما تمليه طبيعة الأرض، إذ سيضطرون إلى القيام بهجوم بالمواجهة بقوات المشاة لفتح ثغرات في مواقعه الدفاعية حتى تتمكَّن مدرعاتهم من الانطلاق في عمق دفاعاته نحو المناطق الخلفية لتطويقه، وقطع خط انسحاب قواته.

ولما كانت مدرعات روميل لا تكفي لمواجهة مدرعات البريطانيين ـ إذا نجحت الأخيرة في الانطلاق ـ فقد قرر روميل مراعاة الاعتبارات التالية في خطته الدفاعية:

1. منع البريطانيين من اختراق مواقعه الدفاعية بأي ثمن حتى يضطَّرون إلى التخلِّي عن الهجوم.
2. صد القوات البريطانية المهاجمة، ومنعها من اختراق الدفاعات لآخر طلقة ولآخر رجل لتكبيد البريطانيين أكبر قدر من الخسائر.
3. القيام بهجمات مضادة سريعة وقوية ضد أي قوات بريطانية قد تنجح في اختراق أي جزء من دفاعاته، لمنعها من تطوير الاختراق في مواقعه وتعميقه.

ب. تنظيم دفاعات قوات المحور: لقد كانت الاعتبارات السابقة عاملاً أساسيًّا بنى عليها روميل طريقة تنظيم دفاعاته في منطقة العلمين لمواجهة الهجوم البريطاني المنتظر، ولذا قرر تنظيم دفاعاته كالآتي:

1. إنشاء حقل ألغام كثيف أمام الخط الدفاعي يتراوح عمقه بين 1 إلى 2كيلومتر، وخُصِّصَت بعض النقط الدفاعية خفيفة الحركة لستره بنيران المدفعية المضادة للدبابات والرشاشات.
2. إنشاء مواقع دفاعية متماسكة خلف حقل الألغام؛ كل موقع يتكَّون من عدة خطوط دفاعية، وقد رُوعِيَ في انتخاب المواقع الدفاعية تبادل المعاونة بالنيران والقوات فيما بينها، وتحقيق دفاع دائري عن كل مجموعة منها حتى يمكنها تعطيل القوات البريطانية المهاجمة لأطول مدة ممكنة لإعطاء الوقت الكافي لوصول القوات المدرعة والآلية للقيام بالهجوم المضاد.
3. انتخب روميل مواقعه الدفاعية حسب ما تتيحه له طبيعة الأرض كما يلي:

(أ) **الخط الدفاعي الأول**: يمتد من شاطئ البحر عند نقطة شرق سيدي عبد الرحمن بحوالي 6كم إلى منخفض القطارة غرب قارة الحميمات بحوالي 5كم.

(ب) **الخط الدفاعي الثاني**: يمتد خلف الخط الأول من البحر شمالاً إلى دير المناصيب (خارج) جنوبًا.

(ت) **الخط الدفاعي الثالث**: يمتد خلف الخط الثاني من شاطئ البحر شمالاً إلى مسافة 7كم جنوب سيدي عبد الرحمن.

4. على الرغم من أن عمق هذا الخط الدفاعي كان يتراوح بين 2 إلى 3 كم فقد أنشأ خطين دفاعيين آخرين في القطاع الشمالي؛ لزيادة عمق الدفاع هناك، وكان كل خط مكونًا من حقل من الألغام، يليه مجموعة من المواقع الدفاعية في الخط الثاني، وبعض المواقع المجهزة للمدافع المضادة للدبابات والدبابات في الخط الثالث، وقد أصبح عمق الخط الدفاعي في القطاع الشمالي بذلك يتراوح بين 5 إلى 9كم.
5. استخدم في إنشاء حقول الألغام حوالي نصف مليون لغم، ودعَّمها بعشرات الآلاف من القنابل البريطانية التي سبق له الاستيلاء عليها في معاركه السابقة، وجهَّزها بأسلاك إعصار متصلة بمفجِّرات لتفجيرها عندما تقترب منها القوات المهاجمة كشراك خداعية؛ لعدم توفر العدد الكافي من الألغام المضادة للأفراد لجميع حقول الألغام، كما أنه لم يتيسر له تغطية جميع هذه الحقول بنيران الأسلحة المضادة للدبابات والرشاشات؛ نظراً لعدم كفاية الموجود منها.
6. وزَّع روميل بعض كتائب المظلات الألمانية فيما بين فرق المشاة الإيطالية الموجودة في المواقع الدفاعية؛ نظراً لضعف مستوى تدريب القوات الإيطالية، وعدم توافر الرغبة القوية لديها في القتال؛ وذلك رفعًا لروحها المعنوية، وتقوية لعزمها في القتال.
7. اضطر روميل إلى توزيع قواته الاحتياطية المكلَّفة بأعمال الهجوم المضاد إلى قسمين: أحدهما لمعاونة القطاع الشمالي، والآخر لمعاونة القطاع الجنوبي؛ لأنه لم يكن متأكداً من اتجاه الهجوم الرئيسي البريطاني قبل وقوعه؛ نظراً لوجود القوة الضاربة البريطانية (الفيلق 10) على مسافة 50كم خلف الخط الدفاعي البريطاني، وقد شكَّل روميل قواته الاحتياطية من الفرق المدرَّعة الألمانية والإيطالية.
8. نظراً لاحتمال قيام البريطانيين بعملية إبرار بحري خلف مواقع المحور الدفاعية فقد خصَّص روميل بعض القوات لمراقبة الساحل مع تكليف تلك القوات في الوقت نفسه بالانضمام إلى القوات الاحتياطية خلف المواقع الدفاعية إذا لم يقم البريطانيون بعمليات الإبرار البحري.

9. كلَّف روميل مدفعية الفرق المدرعة الموجودة في الاحتياط بالاشتراك في خطة النيران الدفاعية؛ لتكثيف النيران ضد القوات المهاجمة أمام الخط الدفاعي الأمامي الذي يحتله المشاة على طول الجبهة.

ج. خطة روميل لتنظيم دفاعاته وإدارة المعركة الدفاعية: على الرغم من أنه كان من العسير على روميل أن يتكَّهن باتجاه الهجوم البريطاني الرئيسي: إلا إنه كان يرجح أن يقوم البريطانيون بهجومهم في القطاع الشمالي للآتي:

1. وجود طرق التقدَّم الرئيسية المرصوفة في ذلك القطاع.
2. إمكانية معاونته بنيران الأسطول البحري من الساحل القريب من الطريق إذا ما دارت المعركة في ذلك القطاع.
3. أن الهجوم من هذا القطاع يؤدي بالقوات البريطانية إلى قواعد المحور الإدارية من أقصر طريق.

ولذلك كانت خطة روميل في تنظيم دفاعاته لمواجهة هذا الاحتمال هي:

1. حشد كل قوات المشاة الألمانية في القطاع الشمالي.
2. الاحتفاظ بجزء كبير من قواته الاحتياطية في هذا القطاع، وخلف قوات المشاة.
3. إنشاء دفاعاته في تلك المنطقة بعمق كبير بين الخطوط الدفاعية بعضها البعض حتى تتمكَّن القوات الاحتياطية المدرَّعة من العمل بحرِّية وخفَّة حركة بين الخطوط الدفاعية عند قيامها بالهجمات المضادة.